مجلة العلوم الإنسانية — عدد 52 ديسمبر 2019، المجلد ب، ص.ص.439 -453

المكان المعادي في القصة الجزائرية المعاصرة

The hostile space in contemporary Algerian story

تاريخ الاستلام : 2019/10/27 ؛ **تاريخ القبول :** 2019/11/24

مريم بغيبغ *

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة الاخوة منتوري
قسنطينة

ملخص

رغم أن الدراسات المتعلقة بالمكان في القصة القصيرة تعد على أصابع اليد، عكس الرواية وهذا لخصوصيتها، فقد اعتمدت في هذا المقال على مجموعة من الكتب أذكر منها : كتاب " شعرية المكان " لغاستون باشلار ترجمة غالب هلسا ، وكتاب "قضايا المكان للروائي "صلاح صالح ،كما اطلعت على بعض الكتب التي تناولت المكان في القصة القصيرة الجزائرية مثل كتاب: القصة القصيرة الجزائرية الثورية- دراسة بنيوية لنفوس ثائرة لعبد الله الركيبي - للناقدة "أوريدة عبود "، وكتاب "جماليات المكان في القصة الجزائرية القصيرة" للأستاذ أحمد طالب....إلا أن الدراسات الخاصة بالمكان تبقى دراسات لم تستطع أن تضع لنا قانونا خاصا به، كما وضع "جيرار جنيث" القانون الخاص "بالزمن" و"فيليب هامون" القانون الخاص "بالوصف والشخصية" فالبحث فيه يبقى مجرد جهود فردية. لذلك سيحاول هذا المقال الاقتراب من المكان في القصة الجزائرية القصيرة ، والبحث في المكان/المدينة كمكان معادي يبني بينه وبين الإنسان كراهة وعداء.

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة ،المكان القصصي ،المكان في القصة الجزائرية القصيرة ،المكان المعادي ، المدينة

Résumé

Malgré les études rapportantes sur le lieu dans l'histoire courte , se compte sur les doigts de la main contrairement au roman et ça est due à sa spécificité , je me suis effectivement appuyée dans cet article sur un ensemble de livres , je cite d'entre eux le livre " Poésie du lieu " de Gustav Bachlar traduction de Ghalib Halssa , et le livre " Affaires du lieu romancier " Salah Salih , ainsi , je me suis informée de quelques livres qui ont traités le lieu dans l'histoire courte Algérienne révolutionnaire - Etude structurelle des esprits révoltés de Abdellah Arrogbi - critique "Aourida Abboud" et le livre " L'esthétique du lieu dans l'histoire Algérienne courte " du professeur " Ahmed Talib " Sauf que les Études spécifiques au lieu restent des études qui ne peuvent nous construire un statut propre à lui "au temps" "Philip Hamoun " la loi spécifique " à la description et la personnalité " alors que les recherches dedans reste des simples efforts individuels. C'est pourquoi l'article-ci essayerait de s'approcher du lieu dans l'histoire Algérienne courte et la recherche dans le lieu / la ville comme un lieu hostile qui bât entre lui et l'homme .

Mots clés: l'histoire courte Le lieu du récit Le lieu dans l'histoire Algérienne courte Le lieu hostile , la ville.

Abstract

This article tries to focus on the space aspect in the story, and more precisely the Algerian short story, although the studies about the space in the short story are of extreme rarity on the contrary of the novel due to its nature, and I have used as a source several books like: "The Poetics of Space" by Gaston Bachelard and "the novel and the space" written by Yassin Alnussair, "the space in the arab novel" by Ghaleb Halsa and "cases of novel-space" by Salah Salah, we have also reviewed some of the books that dealt with space in the Algerian short story such as: the revolutionist Algerian short story- an in-depth study of rebellious souls by Abdullah Alrukaibi- by the critic Aurayda Abood, "the beauty aspects of space in Algerian short story" by Professor Ahmad Taleb... The studies concerning space couldn't yet set a specific regulation for it in a similar way to the regulation of "time" set by Gerard Genette and the regulation of "description and persona" by Philip hammond, therefore the research remains but individual efforts. This article is a genuine addition to the space related studies for the short story in General and the Algerian short story in particular. These studies are scarce in comparison to the important role of this aspect in the creative process. It sheds light on the changes of space and the significance of the hostile space in particular as it can be one of the main aspects of the story telling.This Article tries to focus on the space/city as a hostile place that builds hatred and feud with man.

Keywords: short story, place, Place in the short Algerian story , hostile place, city

* Corresponding author, e-mail: begmaya43@gmail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2019.

مقدمة :

لقد كان للثورة التحريرية الكبرى أثر واضح في تطور القصة الجزائرية القصيرة، فجاءت مواضيعها تحاكي واقع الثورة" وظهر تأثيرها في مضمون القصة القصيرة، فبدأت تتخطى مع الحديث عن التقاليد الاجتماعية و تتخلص أيضا من الصبغة الاصلاحية التي سيطرت عليها طويلا وأخذت تتحدث عن الواقع للفرد الجزائري و المجتمع معا" [(1)]، ومن خلال ما ذكره الناقد و القاص عبد الله الركيبي في "كتابه القصة الجزائرية القصيرة " نخلص إلى أنها قد تأخرت بسبب ظروف وأسباب عدة، منها ما هو متعلق بالجانب الاجتماعي ومنها ما هو متعلق بالاستعمار وما يفرضه من حصار حضاري وفكري، ومنها ما هو متصل بتأخر النهضة الثقافية العربية بالجزائر، وبعد الاستقلال نجدها قد تطورت وتنوعت نماذجها بالقياس بالماضي.

" بدأ التطور الفعلي للقصة القصيرة الجزائرية في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات فقد برزت طائفة من الكتاب الجدد، إضافة إلى الذين كتبوا من قبل الصور والمقالات الصحفية وقد عالجوا قضايا عدة أهمها : موضوعات عاطفية، اجتماعية ، نفسية ، أخلاقية ، ومن أبرز هؤلاء الكتاب : أحمد رضا حوحو، الذي اهتم اهتماما كبيرا بمشكلات الحب وما ينجر عنها من عناء وقد ظهر ذلك بشكل جلي في أغلب القصص التي تحملها مجموعته صاحبة الوحي"[(2)].

وقد استمد الكاتب الجزائري موضوعاته "من واقع الحياة اليومية ومن مشاهداته ووحي علاقاته مع الناس وكان في الغالب طرفا فيها مما يجعلها قريبة من الذكريات الخاصة وقد غلب عليها الطابع النمطي في تصوير الشخصيات والسرد التقليدي في العرض ، وفي استعمال اللغة وكل هذا يجعل منها وثيقة أدبية هامة تؤرخ لفترة زمنية معينة اجتماعيا وفنيا، وتمثل مرحلة هامة من مراحل نشأة القصة وتطورها في أدبنا المعاصر "[(3)].

ومع اندلاع الثورة التحريرية الكبرى ، ظهرت أقلام أدبية كتبت قصصا جسدت فيها واقع الثورة فصرنا نلمح في قصصهم الحديث عن المجاهدين والأبطال وعن انتصاراتهم وعن مشاركة المرأة في الثورة التحريرية وشجاعتها في كفاح الشعب وصموده ضد العدو وعن فضائح الاستعمار وعن الخونة والهجرة "[(4)]

وقد تميزت فترة أواخر الستينيات وبداية السبعينيات بالتصحيح الثوري (الانقلاب العسكري في 19/يونيو /جوان 1965) فكان لهذا الحدث السياسي تأثير واضح في السياسة التنموية ، وامتد إلى الصعيد الأدبي فكما اهتمت الحكومة بالمدارس والثانويات والمعاهد والجامعات، اهتم الكاتب الجزائري بالإبداع فازدهر الأدب لتوفر بعض الشروط نذكر منها :

- ظهور دور النشر خاصة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والتي تفرعت فيما بعد إلى " المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية".
- تطور المقروئية وتراجع الأمية، فكان التحصيل العلمي وارتفاع المستوى الثقافي لدى أفراد المجتمع هذا ما دفع الكاتب الجزائري للإبداع أكثر فـ " ما أنتجه أدباء هذه العشرية في مجال القصة يعد بحوالي خمسين مجموعة قصصية لحوالي ثلاثين قاصا "[(5)].
- عرفت هذه الأقلام الأدبية انتصارا للخط السياسي الجديد أو ما يسمى في النقد الأدبي بالالتزام فأصبح "كل قاص يرى أن من واجبه الوطني أن يساهم بإبداعه في بلورة القيم الوطنية الإيجابية والتنديد بالظلم الاجتماعي والفقر المدقع والتفاوت الطبقي وإبراز بطولات الشعب الجزائري في مقاومة الاستعمار " [(6)].

ومنه فالقاص الجزائري كان من خلال كتاباته يظهر ولاءه الخالص للنظام الاشتراكي والتبعية المطلقة للســلطة ، وهذا ما جعل قصص تلك الفترة بعيدة نوعا ما عن الواقع الاجتماعي،لأنها كانت ترى بعيون النظام فاتجهت معظمها للكتابة حول إيجابيات الثورة الزراعية وأنها هي الخلاص والجنة التي يبحث عنها الفرد الجزائري كما أن موضوع النظام الاشتراكي والثورة الزراعية قد أخذ الحيز الأكبر في المضامين القصصية، هذا ما جعل النماذج المقدمة نماذج جاهزة وواحدة ، ولكل فترة من الفترات ميزاتها وخصائصها وفترة الثمانينات و التسعينات تميزت بـ:

- ظهور صعوبات اقتصادية نتجت عن تدني أسعار البترول.
- العجز عن تأمين المستوى المعيشي الذي تعوّد عليه الناس في السابق.
- ظهور الفساد و البيروقراطية وقد انعكس ذلك الواقع الاقتصادي و الاجتماعي على الواقع الأدبي والقصصي، فكانت مواضيعه نقدية للمجتمع رافضة للوضع الاجتماعي الراهن مصبوغة بنظرة تشاؤمية تصف أمراض المجتمع من فساد ورشوة، وبيروقراطية ومحسوبية...إلخ.

ومع بداية التسعينيات بقليل نجد الانصراف شبه الكلي للكتاب على اختلاف أجيالهم، إلى قراءة الواقع الجديد المتسم بالعنف الأعمى الذي عانت منه الجزائر في العشرية الأخيرة من القرن المنصرم وآثاره على الوطن وناسه ماديا ومعنويا ، فأنتج في هذا السياق كمّا هائلا من النصوص يمكن تصنيفها تحت اسم "أدب الأزمة أو الفجيعة مثل كتابات"أحمد منور: زمن الحب...زمن الفجيعة، وبودواية بلحي: المقبرة السياحية، وجميلة زنير: أوجاع امرأة خلعتها القبيلة... "[7].

لقد كانت الثورة من أهم المضامين التي عالجتها القصة الجزائرية و لم تفارق تصوراتهم ومواقفهم وكتاباتهم، رغم الحلم الدائم ببناء الوطن وتحقيق الرفاهية ومحاولة القاص الجزائري أن يكون صوت الشعب الناطق باسمه، إلا أن الثورة التحريرية الكبرى قد غلبت على مشاعره وكتاباته، وقد تجلت تقريبا في كتابات كل الكتاب، نجدها عند "الطاهر وطار، عبد الحميد بن هدوقة، جمال فوغالي، جميلة زنير، جلالي خلاص، الحبيب السايح عزي بوخالفة، إدريس بوذيبة...الخ.

ومنه فهي التجربة الثورية التي من مميزاتها أنها من صنع الشعب بجميع أفراده رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا، لازمت مخيال الكاتب وتربعت في وجدانه فتجسدت في نصوصه القصصية.

وقد نالت الهجرة اهتماما في القصة الجزائرية المعاصرة خاصة في فترة الثمانينات وقد تناول الكتاب الأسباب التي دفعت الفرد الجزائري منها: الحاجة إلى العمل خاصة أثناء القهر الاستعماري والإقطاعي الذي كان يدفع الفلاح الخماس إلى الهجرة فـــ" كثرة الضرائب والمتابعات الإدارية كانت تشكل الأداة الفعالة لقمع الفلاح وجعله يختار طريق معامل فرنسا الكبرى، كان الفلاح يحاول البقاء فوق أرضه كما سبق، غير أن الإجراءات الإدارية كانت تعزله عن العالم يوما بعد يوم، وتجعله يحس بوحدة وعجز لا حد لها". [8]

وقد تطرقت القصة الجزائرية في فترة ما بعد الاستقلال للقومية العربية، وخاصة القضية المركزية الفلسطينية فأشارت إلى قضية اللاجئ الفلسطيني المطرود للشتات وقضية الحرية والعودة، كما أنها تناولت مضمون الحب وتشابك العلاقات في الأسر الجزائرية كعلاقة :الرجل و المرأة، الزوجة و الحماة الأبناء و الآباء... إلخ.

كل هذه المضامين سوف نحاول أن نشير إليها من خلال استخراجنا للمكان في المجموعات القصصية التي بين أيدينا وهي مجموعات جاءت بعد الاستقلال و بالضبط في بداية الثمانينات ويبدو أنها لأول مرة تنال حظها بالبحث في موضوع المكان، وقد كان الاختيار بعد قراءة مستفيضة لأهم المجموعات القصصية.

المناقشة:
تعتبر الدراسات التي تناولت المكان في القصة القصيرة الجزائرية دراسات قليلة، ولا يوجد في حدود علمنا سوى عملين نقديين جادين قد تناولا المكان في القصة الجزائرية الثورية وهما :"دراسة للمجموعة القصصية "نفوس ثائرة لعبد الله الركيبي" التي قامت بها الأستاذة أوريدة عبود، وجماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية لأحمد طالب، والتي تناول فيها نماذج قصصية لثلاثة كتاب وهم : الطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة وأبو العيد دودو.
في دراسة الباحثة أوريدة عبود الموسومة بالمكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية "دراسة بنيوية لنفوس ثائرة لعبد الله الركيبي (9)، بينت فيها أهمية المكان في الخطاب القصصي وأنه المادة الجوهرية للخطاب، وأي إقصاء له إنما هو إلغاء لهوية من هويات هذا الخطاب.
وقد حاولت منذ البداية التركيز على المكان في القصة الثورية بعد إطلاعها على مجموعة من القصص " كالأشعة السبعة لعبد الحميد بن هدوقة ، وبحيرة الزيتون لأبي العيد دودو، والرصيف النائم لزهور ونيسي وقد وجدت ضالتها في المجموعة القصصية "نفوس ثائرة لعبد الله الركيبي "، واستطاعت من خلال الأمكنة التي رصدتها أن تشكل لوحة واحدة للثورة الجزائرية والشعب الجزائري الثائر.
لقد مثلت ثنائية المكان المفتوح / المكان المغلق أهم أنماط الأمكنة في المجموعة القصصية " نفوس ثائرة " باعتبار أن العثور على المكان المفتوح كما وضحت الباحثة، يشكل حالة استثنائية عن بقية الأنواع الأدبية وهذا راجع إلى الحصار المشدد الذي فرضته السلطات الفرنسية.
ولا يعني أن الباحثة لم تتطرق لأنماط مكانية أخرى، فقد تناولت ثنائية المكان المتصل /المكان المنفصل وثنائية المكان القريب / المكان البعيد، وثنائية المكان المرتفع / المكان المنخفض.
لقد استطاعت الباحثة أوريدة عبود أن ترصد أهم الأمكنة التي ارتبطت بالثورة التحريرية الكبرى، وهي محاولة رائدة في الدراسات الخاصة بالمكان في القصة القصيرة الجزائرية واستطاعت أن تستنبط لنا أنماطا متعددة من الأمكنة وأبعادها ولكنها تبقى دراسة جزئية قاصرة عن مدنا بتجربة مكانية متكاملة تحتاج إلى دراسات أخرى أكثر اتساعا وعمقا.
في دراسة **الدكتور أحمد طالب الموسومة بجماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية** (10) يرى أن المكان له خصوصية جمالية وحضارية وطبيعية ، إذ ركز في استقصائه لمجموعة الأمكنة على" أبي العيد دودو، والطاهر وطار، وعبد الحميد بن هدوقة " من خلال عدة مجموعات قصصية وهي " بحيرة الزيتون ، الطعنات ، دخان من قلبي ، الأشعة السبعة" وقد تميزت دراسته بـ:
- تعدد الأمكنة، غير أنه قد أعطى البادية أهمية بالغة، خاصة أثناء الثورة التحريرية الكبرى كما عد القرية مهد الثورة ومصدرها .
- استخلص بعض الرموز والدلالات من الأماكن الطبيعية التي وظفتها المجموعات القصصية التي اختارها في دراسته.
- وصل إلى نتيجة مفادها أن القصص التي تتناول الطبيعة أثناء الثورة ، اتخذتها وظيفة للاتصال التعبيري عن الواقع .
- تناول الأماكن الساكنة التي تمثلت في البلدان والثكنة، والأماكن المتحركة التي تمثلت في العربة والباخرة وغيرها من الأماكن الأخرى مثل الأمكنة المتسعة والعميقة.

- لم تتوقف الدراسة على رصد أنواع المكان وإنما تعدتها إلى أبعادها النفسية ، والاجتماعية وعلاقتها بالشخصية والزمان .
لقد أشار الباحث **صلاح صالح** في كتابه " المكان الروائي في الأدب المعاصر" سبب إهمال دراسة المكان مقابل الاهتمام المتزايد بالعناصر الأخرى إلى أسباب ذكرها بالوجيهة غير المعلنة منها " اعتبار المكان أقل شأنا و أقل فعلا في نسج العمل الروائي " (11) ، وأول ما يستوقفنا في دراستنا للمكان في القصة القصيرة هو ارتباطه عادة بلحظات الوصف ، لكن المكان غالبا ما يكون فيها عبارة عن إشارة ضعيفة أو ومضة خافتة و هذا للخصوصية التي تتميز بها القصة القصيرة عن الرواية التي تتعدد فيها الأمكنة، و هذا راجع للأحداث الكثيرة و الحركة الكبيرة التي تلعبها الشخصيات داخل العمل الروائي ، ما يصعب على الباحث الإمساك بظواهر طبيعية و حقيقية للأمكنة ، فالنص القصصي لا يتركز بناؤه على المكان لأن الشخصية و الحدث يسيطران بصفة دائمة عليه، إلا أنه " يكتسب في القصة أهمية كبيرة ... لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر القصصية و يمنحها المناخ الذي تنفعل به " (12)، فلم ينظر للمكان على أنه المسرح الذي تجري فيه الأحداث أو أنه الخلفية التي تتحرك فيها الشخصيات ، إن المكان الآن سواء كان في الرواية أو في العمل القصصي فهو يختلف من حيث الحجم و المساحة و الاتساع و الضيق ، و الارتفاع و الانخفاض ، و الانغلاق و الانفتاح ... و كل هذه الأشكال عندما توظف في القصة حتما سوف تصير عنصرا هاما من بين العناصر التي تكون هذا الجنس الأدبي و هذا ما يؤكده الباحث و الناقد **يوسف نجم** في كتابه "فن القصة"، إذ يرى أن " بيئة القصة هي حقيقتها الزمانية و المكانية أي كل ما يتصل بوسطها الطبيعي و بأخلاق الشخصيات و شمائلهم و أساليبهم في الحياة " (13)، و هذا ما تشير إليه الناقدة **"سيزا قاسم"** في كتابها بناء الرواية " فالزمان و المكان يمثلان بيئة القصة لكن يختلف تجسيد المكان عن تجسيد الزمان ، فالمكان يمثل الأدلة الخلفية التي تقع فيها الأحداث ، بينما يمثل الزمان الأحداث نفسها و تطورها ، و عليه فهناك اختلاف بين طريقة إدراك الزمان و طريقة إدراك المكان ، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي و قد يسقط الإدراك النفسي على الأشياء المحسوسة و من هنا فالمكان ليس حقيقة مجردة و إنما هو ظاهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ أو الحيز و أسلوب تقديمه للقراء هو الوصف"(14).
من هنا تظهر جليا علاقة المكان بالزمان و الوصف ، فالوصف هو الأداة التي من خلالها يخرج المكان بصورة إبداعية تجعل القارئ يقترب أكثر من النص ، فكأن الكاتب من خلال تصويره للمكان قد أعطى الشخصية و الحدث حضورا حقيقيا واقعيا و خلص النص من يتمه و عشوائيته و إن كان هذا المكان من صنع خيال الكاتب.
لقد نفى الظاهراتي "غاستون باشلار" الفكرة الوجودية القائلة : حين نولد نلقى في مكان معادي عندما تحدث عن **المكان الأليف و**"هو البيت الذي ولدنا فيه ، أي بيت الطفولة و من منطلق المكان الأليف يعترض غاستون باشلار على الفكرة الوجودية التي تقول حين نولد نلقى في عالم معادي و إنما نلقى في البداية في هناءة بيت الطفولة"(15).
ولكنه أثار قضية المكان المعادي، وهو المكان المعاكس للراحة والهناء ، مكان مقيت يبني الإنسان بينه عداوة وكراهة ، فنجد أن القصة الجزائرية القصيرة خاصة في فترة الثمانينيات قد استقرت على المكان المعادي القلق والذي تمثل في المدينة وقد طغى حضورها كمكان اجتماعي معاد وواقعي.
المدينة من أهم أماكن السكن لما تحمله من نسيج عمراني يتداخل مع النسيج الاجتماعي الذي تؤثثه العلاقات الاجتماعية القائمة بين سكانها، ويزيد تأزم هذه

العلاقات عندما يكثر الداخلين عليها الذين لم يتعودوا على ضجيجها، إلا أن المدينة تعطي إحساسا بالحياة، و القاص الجزائري من خلال النصوص التي بين أيدينا يجعل المدينة خانقة للفرد خاصة النازح إليها من الريف ويظهر ذلك في السؤال الذي يطرحه القاص "إدريس بوذيبة "في قصته "حين يبرعم الرفض"*:" الى أين هو ذاهب؟...الى المدينة...و لماذا؟[16]

إن هذا السؤال يجعلنا نتوقف برهة لنتأمل حقيقة الفرد الجزائري، الذي يملك الأراضي و المعاول و سحر الطبيعة ويترك كل ذلك ويتوجه إلى المدينة لماذا؟

تدور أحداث هذه القصة عن الظلم و القهر الاجتماعي الذي يعيشه بطلها الفلاح ظلما إقطاعيا يجعله يفكر مليا لترك الريف والتوجه إلى المدينة، إلا أن الأرض تناديه ويصمد ضد القهر الاجتماعي و البغض الإقطاعي، تقوده في النهاية إلى الإحجام عن فكرة مغادرة القرية لأنها جنته التي لا يستبدلها بجحيم المدينة، يقول الكاتب عبد الحميد بورايو في مجموعته القصصية " عيون الجازية ":"**...**إن المدينة في حاجة إلى نظافة ابق هنا حيث أنت"[17]

إن مدينة القاص الجزائري تراها في أحايين كثيرة مغلفة بالكراهية و الحقد، لما فيها من مزايا نجدها قد احتجبت في قريته الصغير، لذلك نجد الكاتب "عبد الحميد بورايو يقارن بينها و بين القرية: " الحكومة حكومة واحدة، و الأطفال في المدينة يعالجون بالأدوية فيعيشون، و الأطفال في القرية لا يجدون الدواء فيموتون"[18].

يصف لنا السارد الحالة الصحية المزرية التي يعيشها أطفال الريف، بالمقابل الرعاية الصحية التي يحظى بها أطفال المدينة فالفلاح الجزائري الذي يشهد تحولات الاقطاعية وظهور ما يسمى بالثورة الزراعية ينتظر التغيير، إلا أن هذه الأوضاع تبقى كما هي و الحكومة أيضا خاصة بعد وفاة ابنه بالحصبة وهذا راجع للبيروقراطية التي كان يتخبط فيها الوطن الذي يحرم مستوصفات القرية من الدواء فيما يعطيها لمستشفى المدينة.

رغم هذه الخاصية الإيجابية التي أعطتها القصة للمدينة، إلا أنها تظل قلقة اتجاهها تقدم لنا تارة إيجابياتها و تارة أخرى تنعتها بالمدينة السالبة، التي ما هي في النهاية إلا رمزا للوطن، وهذا ما يؤكده "عبد الحميد بورايو" حيث يحكي لنا في قصته "مسرحية ذات أربعة مشاهد" عن **المدينة/ الوطن ، المدينة/الجزائر**.

يرمز للجزائر/بالمدينة، ويرمز للحاكم/بالسلطان وهو يحاول من خلال ذلك أن يكشف هذه السلطة التي تحارب كل من يحاول تعريتها ويفضح سارقي **المدينة /الوطن**، فالأعداء من كل جانب:

" يحاصر الأعداء المدينة وتظل أبوابها موصدة في وجه من يعي و يقرأ الشاعر الجوال قصائده الحماسية على مسامع جميع الرابضين خلق الأسوار يردون كيد الأعادي"[19].

تبدو المدينة في القصة الجزائرية المعاصرة مدينة الخيبات المتتالية، فهي دائما ملجأ للهروب من حرّ الإقطاعية في الريف، إلا أنه ملجأ مؤقت لا يفترق كثيرا عن الريف، فالسيد في الريف هو أيضا سيد في المدينة و العبد عبدا في الريف أو المدينة على السواء الظلم واحد والأمكنة تتعدد، هذا ما حاولت أن تثبته المجموعة القصصية "حداد النوارس البيضاء" للكاتب "مصطفى الفاسي "إذ يسرد لنا القاص في قصـــــته " و من الطين "حكاية أحمد الذي هرب من حياة الإقطاعية كونه خماسا في القرية باحثا عن الحياة الهنيئة في المدينة، فإذا به يجد نفسه خادما مطيعا لسيده هناك – لذلك يعود إلى القرية لزراعة الأرض التي أصبح هو سيدها من خلال تطبيق قانون الثورة الزراعية وهنا نجد القاص قد أعطى للثورة الزراعية بعدها الإيجابي وهذا ربما راجع للتوجه الإيديولوجي لدى القاص، حيث يقول :

" ... ماذا فعلت، ثماني سنوات كاملة عشتها هدرا، فهيا جميعا لتحتفلوا بالهزيمة... لقد قفل السندباد بخيبته ... عاد إليكم يجر الهزيمة، ضيعته المدينة و رمته إليكم ... لكم أتلهف أن أمرغ وجهي في هذا التراب ذي الرائحة الزكية "[20].

يشبه السارد نفسه بالسندباد البحري ، وهو أحد الشخصيات الخيالية التي ذكرت في حكايات "ألف ليلة وليلة، " بحار عربي من مدينة البصرة العراقية الذي يهوى المغامرات والإبحار، وكان من التجار و عاش في فترة الخلافة العباسية وقد واجه العديد من المصاعب في مغامراته، إلا أنه يختلف معه في الإحساس بالخيبة ، فالسندباد كان يتغلب على هذه الصعاب بذكائه أما هو فقد رجع مهزوما ضائعا مشتاقا إلى رائحة الريف والأرض.

المدينة في القصة الجزائرية كانت مكان التجربة و الهروب، فبالرغم من خصوصيتها إلا أن القصة لم تهتم بتلك الترسبات و التراكمات الاجتماعية التي تتزين بها المدينة، و ظل القاص الجزائري باحثا عن إجابته القلقه و حيرته و سؤاله الأبدي : لماذ نلجأ للمدينة ... ؟

" في هذا اليوم ، و في هذه اللحظة انتعشت روحي السندبادية فلعنت حياة الخماسة و رحلت إلى هناك حيث المدينة تمد أيديها الأخطبوطية ، فاستقبلتني و ضمتني إليها بقوة أدمت عروقي"[21].

يشبه القاص المدينة بالإخطبوط وهو حيوان بحريّ من فصيلة الرَّخويَّات ، أسطوانيّ الشكل ، له رأس صغير ، وثمانية أرجل ، يتغذَّى على القشريَّات والأسماك ، ويُضرب به المثل في شدّة التشبُّث بما يمسكه وهكذا مدينته تمد أيديها تحاول الإمساك به إلا أنها بدل أن توفر له العيش الكريم ها هي تدمي عروقه ، ومنه نستنتج :

* أن القاص يحاول أن يقنعنا بأن السبب الرئيس لمعانقة المدينة هو الهروب و البحث عن الأفضل ، و أن المدينة ليست مكانا للاستقرار و إنما هي مكان يرتحل إليه الإنسان فقط ثم يعود من حيث جاء ، و فعل " رحلت " يؤكد ذلك ، و تشبيه نفسه بالسندباد يخلق لنا مفارقة عجيبة تجعلنا نشكل هذا المكان حسب وظيفته التي يعطيها إياه الكاتب و هي وظيفة الانتعاش" انتعشت روحي" و كأن روحه كادت تحتضر في **القرية / الريف** و هنا نجد الكاتب يقع في تناقضات تدفعنا للقول إن المدينة مكان غير مستقر ولا يدعم الاستقرار فتارة ينعت الكاتب رحلته إلى المدينة هذرا للوقت و مرة أخرى مدعاة للانتعاش.

هذا ما يؤكد أن المدينة قلقة واهنة غير ثابتة ويؤكد قلق القاص الجزائري "مصطفى الفاسي" الذي يعود في نهاية قصته ويصرح بكراهيته للمدينة من خلال كره بعض خصائصها التي تشكل في الأخير **المكان / المدينة** :"كرهت كل الحانات و كل محلات مدينتكم ... " [22] وكأن المدينة تتلخص في الحانات والمحلات.

بالمقابل ينظر للمدينة بعيون الرضا عندما يتعلق الأمر بالتعليم حينها يقف موقف الحالم بهذا المكان ، الذي كان منذ قليل مدعاة للقلق و الرفض أمام ثنائية **المكان : المدينة / العلم**.

يقول في قصته "و يعم الحقد فيزهر الفجر وردا " :

"محمود آه لو كنت مثلك... كان من المحظوظين أرسله أبوه إلى المدينة كي يتعلم و كان لا يزورنا إلا في العطل و في الأعياد... و مع الفارق بينه و بيني فقد كان لطيفا جدا معي، حتى أنه ذات صيف علمني قراءة الحروف و كتابتها و أنا الآن بفضله أقرأ و أكتب "[23].

في هذا المقطع يتشكل **المكان / المدينة** من عنصر العلم الذي يتوفر فيه و يكاد ينعدم في الريف وهنا يكمن تفوق المدينة عن سواها من الأمكنة، فهي تمنحك الفرصة للتعلم ، إلا أن الريف يتواطأ مع القاص الجزائري فلا يستقر على رأيه الايجابي

للمدينة، نراه في علاقة فاشلة معها إلا تميزها ببعض الظواهر الاجتماعية عن الريف لذلك فالمدينة أشبه ما يكون بالجبّ الذي جف ماؤه من كثرة الوافدين إليه، الذين يطلبون ماءه و قد جف ولم يبق في القاع إلا الحجارة ، يصفها القاص "محمد دحو "في مجموعته القصصية " عندما ينقشع الغيم "في قصته " الجفاف" بأنها:

" ... مدينة ميتة كل أهلها جثث يتحركون كدمى الأطفال أما بيوتهم فقد كانت قبورا "(24).

من خلال هذا المقطع تكون المدينة قد شابهت المقبرة وهذا لاكتظاظها، فقد شبه ساكني المدينة بالجثث و عماراتها و شققها الضيقة بالقبور، و هنا يرصد القاص تحولات المدينة من **مكان للحياة** إلى **مكان للموت** ، و قد أعطى لهذا المكان بعدا مأساويا يترجم مدى كره الإنسان للمدينة و احتقارها لأنها تنهي حياته فهي " متهمة دائما بأنها موطن القبح البشري و القسوة البشرية و العنف و البشاعة و المادية ... و كراهة الكتاب لها ليست كراهة لشوارعها و أبنيتها و لكن للحياة فيها " (25)، لأنه في النهاية يخلص إلى انعدام الحياة فيها.

ينقلنا الكاتب في قصته " قراءة في دفاتر النحو الجامعي " إلى فكرة التحرر التي تتصف بها المدينة و يأتي بأحكام جاهزة حولها، إذ يلمح إلى العلاقات الجنسية المباحة، حيث يقول:

" أدخل المدينة أقودها فتقودني ... أحلم بالحرم الجامعي و المكتبات و العشيقات اللائي يجلسن في أروقة المعاهد يبحثن عن كلمات حلوة و أشياء أخرى... يطرقن باب غرفتك ليلا... يستأذن بالمبيت أطرق أبوابا موصده ... تنفتح الأبواب الموصدة و الشبابيك وألتقط فمي كأعقاب السجائر "(26).

تبدو هنا **المدينة عاهرة** ، بها جامعات و مكتبات و عشيقات متحررات يتجولن بحرية كاملة و كأن هدفهم الأول من الجامعة هو الجنس ، فيضعنا الكاتب أمام ثنائية جديدة **للمدينة كمكان للجنس .**

المدينة /الجنس: لأن المرأة في المدينة و خاصة المثقفة متحررة متفسخة ، فإنه يحلم بهن يبحثن عن الرومانسية " كلمة حلوة " فقط ليطرقن باب غرفتك لينمن عندك ، إن هذا الوصف يعكس الوجه القبيح للمدينة ، وينزع عنها حتى صفة العلم التي تميزت بها، فالمدينة هنا مرادفة لكلمة العار، خاصة المرأة المتعلمة التي تسكنها فقد أفقدها الكاتب الحياء و كساها ثوب الرذيلة.

في قصته " التنكر المزيف " يطرح فيها الكاتب عدة فوارق بين **الريف / المدينة** ، عندما شد أحد شخصياته الرحال إلى المدينة :

" لنشد الرحال إلى المدينة ، إن أردنا الإبقاء على أحبتنا " (27) هنا يظهر أن الهجرة إلى المدينة كانت نتيجة حتمية للأوضاع المزرية التي كانت تعيشها الشخوص في الريف إلا أن الكاتب وقف يتساءل : " كيف تحول الشيخ بوزار في مدة وجيزة نسبيا من ليونة الرمل إلى صلابة الاسمنت ... "(28).

هنا إشارة إلى مدى تأثر المهاجرين بالمدينة.. بقسوتها ، و سوداويتها ؟، و صلابتها **فالمدينة هي المكان** الذي يؤثر في الإنسان أكثر مما يؤثر فيه هذا الآخر .

إن القاص الجزائري في كثير من الأحيان يلجأ إلى البحث عن وصف قبيح يصف به المدينة و هذا ما التمسناه عند الكاتب "بوجادي علاوة" في مجموعته القصصية " شذرات من اعترافات مارق " في قصة " أغنية للعشق ، للثورة ، و للسقوط " حيث يصف **المدينة بالمكان الهمجي** حيث يقول :

" بحثنا عنك في أي مكان من المدينة الهمجية، نعتقد أنك تقصدينه سألنا معارفك صديقاتك... سألنا محافظات الشرطة و في المستشفيات ذهبنا إلى منزلك الكبير الفخم فخرج لنا أبوك ببندقية الصيد و أطلق الكلب في أعقابنا و يئسنا ... "(29).

نجد القاص هنا قد حدد وصفا جارحا سلبيا **للمدينة الهمجية** التي لا تحمي المغفلين و التي تكره الفنانين ، لأن الكاتب كان يبحث عن امرأة رفضت المدينة في تلك الفترة الزمنية مهنتها كممثلة على خشبة المسرح، خاصة بعد حملها و أن نسب طفلها غير معروف ، و هنا يحاول إقناعنا الكاتب بهمجية المدينة التي ترفض / الحرية ثم تثور على / الغافل، و تبدو همجية لا تحنو على سكانها لذلك فقد خرج الأب إليه عندما كان يبحث عنها و قد غادرت ركح المسرح بمجرد علمها بحملها بالبندقية ، و هنا يحاول القاص أن يؤكد على ذلك الوصف الذي كان قاصدا و مباشرا و شاهدا على **المكان / المدينة**، و يبقى القاص باحثا عنها و مصرا على كلمة المدينة الهمجية و هذا ما نلاحظه في النص التالي :

" أبحث عنك في شوارع المدينة الهمجية ، أجري وراء العاديات و الرائحات فتزداد غربتي أبحث عنك في المصانع في الإدارات في المعاهد ، في المباني و بين بنات الليل ... يصدمني الكم ... تلطمني الأزياء، العدوانية... و برودة الماكياج كأقنعة طينية فأزداد تيها... أنا البدوي يمتطي بعيرا ضاربا في متاهات السراب لاهثا وراء طيف عتيق " [30]من خلال القراءة المتمعنة لهذا النص، نجد أن الكاتب قد لخص لنا مفهوم الهمجية الذي أطلقه على المدينة فالهمجية تعني عنده:

- شوارع باهتة.
- غربة قاتلة .
- عهر (بنات الليل) .
- ضجيج و صخب و اكتظاظ (الكم الهائل) .
- الزيف الذي يغزو سكانها (أزياء عدوانية تدعو للرذيلة و برودة الماكياج كأقنعة طينية).
- كلما توغلت فيها ازددت تيها.
- في المدينة تظهر كبدوي يبحث عن السراب وراء طيف...

يحاول القاص كشف حقيقة المدينة الجزائرية حين وصفها بالهمجية و نراه قد وضح اتهامه هذا و أكد عليه، لأن أغلب سكانها يحملون شيئا من هذه الهمجية التي تدعو إلى الرذيلة و التوغل فيها يأخذك إلى السراب، ومنه فهو ينفي على المدينة صفة الحضارة ويلصقها بالقرية والريف، والحضارة عند الكاتب قد تعني الاستقرار، أما الهمجية التي هي في الأصل مأخوذة من همج وهو ذُبابٌ صَغيرٌ كالبَعوض يَسقُط على وُجوهِ الغَنَم والحَمير، وأصل الاستخدام هو التصرف الفوضوي غير الهادف الذي لا يجني نتيجة تمامًا كهجوم الذباب على الحيوانات الأخرى، فيصلح لمدينة الكاتب التي لا تستقر ولا تهدأ وسكانها كالذباب يلتفون حول الحانات والمحلات وغيرها من الأمكنة.....

في نص آخر نجد أن الكاتب يصف المدينة و من يحكمها بوصف ساخر لشوارعها:
" لحيهم لا تعرف المشيب ... أسنانهم النضيدة لا تسقط ... و لا تتسوس ... صورهم في المجلات و الجرائد و في المحلات على شاشة التلفزة و في شوارع المدينة "[31] و نجده في نص آخر يقول :" علمتني فيما بعد أنهم حكماء من نسل الحكمة هم القائمون على شؤون المدينة يبنون و يعمرون و يهيئون جيشا عظيما للدفاع عن الدين و عن مكارم الأخلاق و عن السيادة الوطنية وازدهار المدينة و تحرير فلسطين "[32].

يلجأ القاص للتعبير عن فكرته إلى أسلوب السخرية ، وهو يريد بذلك يلمح عن الصحوة الإسلامية التي رافقت بعض المدن العربية مع انتشار أفكار جماعة الإخوان المسلمين في بداية الثمانينيات في المدن الجزائرية ، و يظهر أن الكاتب رافض لهذا المد لذلك نجده يذكرهم و يصفهم بطريقة ساخرة .

على الرغم من كثرة التلميحات و أحيانا الوصف المباشر للمدينة عند القاص الجزائري بأبشع الصور فإنها تظل مدينته التي يرحل إليها ... إذ يرحل عنها ثم يعود إليها، و لنأخذ مثالا عن ذلك ، قصة "البالوعة ""لعلاوة بوجادي" التي يصف فيها الشخصية العائدة إلى مدينته بعد طول غياب :

"أنزل بالفندق أو بالحمام و أنا في مدينتي مسقط رأسي و مرتع طفولتي و مراهقتي،... لكن لا بأس إنها مدينتي ترى كيف سيستقبلني أبناء مدينتي "[(33)].

يقدم لنا القاص هنا سلسلة من الأماكن التي يلجأ إليها الغريب عن المدينة للمبيت فيها عندما لا يجد المكان الذي يبيت فيه ، **كالفندق و الحمام** ، المفارقة تكمن في أن الشخصية التي لجأت إلى هذه الأماكن هي شخصية سكنت المدينة ، فالمدينة جزءا من طفولتها و مراهقتها ، فهي ماضيه ... و هنا تقف هذه الشخصية متسائلة و قد عادت إلى **المدينة / الماضي"** كيف سيستقبلني أبناء مدينتي " و لا يدري أن **المدينة/ البالوعة** قد توافد إليها الغرباء، و **المدينة/ الصغيرة** كبرت و مدة عشرين سنة قضاها خارج هذه المدينة جعلت ملامحها تتغير و كذلك ساكنيها ، لذلك فإنه جاء من الغربة ليصطدم بغربة أخرى:

"محال أن تكون مدينتي الصغيرة بالوعة ... عشرون سنة من عمري منذ ولدت عشت فيها حقيقة و حقيقة أن أحياء كثيرة منها انبثقت من العدم ورافق نموها نموي ، و لن تجعلني غريب الأبنية الجديدة مهما كثرت ، الوجوه النازحة و لو كان أصحابها أكبر عددا من السكان الأصليين "[(34)].

يثير القاص هنا عاطفة القارئ باستعمال أسلوب التحسر للإحساس بالخيبة من الأوضاع التي تعيشها الشخصية التي انتمت لهذا **المكان** ورسمت عليه ماضيها، ثم الفترة الزمنية التي قضاها خارج **المكان / الأصل**، جعلت ملامح المدينة تتغير فلم يعرفها من كثرة المباني و الأحياء و كثرة الوافدين عليها.

يشبهها الكاتب بالبالوعة التي تبتلع كل شيء و لا تستثني و لا ترحم حتى الذكريات التي زينت ماضي الشخصية ابتلعتها، فما عادت تتذكره إلا أن القاص و من خلال الشخصية يبث الأمل في ثنائية **النازح / الأصيل**، فالمدينة مهما كثر النازحين إليها لا بد أن تترك مساحة ما للسكان الأصليين ، ثم ما يلبث الكاتب أن يتحدث مع هذه المدينة التي يعدها بأن يعمل بها و يكد و لن يفارقها مجددا حتى لا تنسى ملامحه، إلا أنه يرى أن المدينة تمنحه أناسا يعرفهم من أجل السكر و العربدة لا لشيء آخر :

" مدينتي عدت إليك و لن تخرجني منك أية قوة سأكد و سأشتغل و سأبني حياة مستقرة فإن تحولت إلى بالوعة مدينتي فهنا على الأقل سألتقي بأناس أعرفهم و يعرفونني لنسكر و نعربد "[-35].

و هنا تتجلى الوظيفة السلبية لهذا المكان الذي يصبح مجرد مكان للمتعة و لا شك أن هذه الحقيقة لا تنفي مزايا أخرى له ، فالمدينة هي المكان الوحيد الذي يحوي عدة أماكن يتسنى لمريدها التطلع عبرها على عدة فضاءات و لا أحد يبالي لذلك :

" عاد أدراجه إلى كبد المدينة ، حرر رجليه صعودا و هبوطا في أرجاء ساحة أول نوفمبر الواسعة أمام دار البلدية جنب الأوبرا نحا صوب المقهى المجاور لدار المسرح ، مر قرب مخبزة ابتاع خبيزاته ، هرع إلى حانوت اللبان المقابل للمقهى"[(36)].

لو فصلنا في هذه الفقرة لأحصينا عدة أمكنة كلها مرتبطة بمكان واحد :

المـــــــــــــــديـــــــــــة

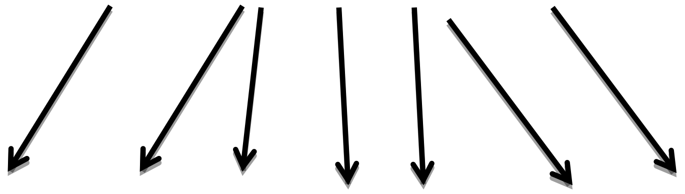

ساحة 1 نوفمبر حانوت اللبان دار البلدية دار الاوبرا المقهى دار المسرح مخبـزة

إن هذه الأمكنة في الحقيقة تعبر عن **المدينة كمكان رئيسي** يحوي مجموعة من الأماكن الفرعية :

- ساحة 1 نوفمبر في بعدها التاريخي .
- دار البلدية الهيئة التي تعبر عن انتماء الأفراد .
- المقهى و هي أكبر ملتقى رجالي ذات بعد اجتماعي سياسي.
- دار المسرح ودار الأوبرا...البعد الثقافي في المدينة.

-مخبزة و حانوت اللبان البعد الاقتصادي و التجاري ، وقد تعمد القاص أن يذكر كل هذه الأبعاد التي تكتسي بها المدينة ليبين أن الفرد الجزائري لا يهمه التاريخ و لا الفن و لا المقاهي التي أصبح دورها باهتا و لا المشهد الثقافي المتمثل في المسرح، كل ما يهم الجزائري اليوم هو لقمة عيشه المتمثلة في خبيزة و لبن ، هذا ما جعل القاص يتجاوز كل هذه الأمكنة كي يصل إلى الخبز ، يعبر بطريقته الرمزية عن حالته المزرية التي يعيشها المواطن الجزائري في المدن ، غير أن الكاتب غيب المكان الديني المتمثل في الجامع أو المسجد و هذا يفضي إلى عدة دلالات، ربما يلمح الكاتب إلى ابتعاد سكانها عن المساجد مخافة الاتهام بالتطرف، أو يريد أن يكشف و يعري المدينة الجزائرية التي تخلت عن مساجدها و جوامعها و استبدلتها بدار الاوبرا و المسارح ، أو يرمز لشيء آخر... الخ .

يقدم لنا القاص "جيلالي خلاص" مدينته في مجموعته القصصية "خريف رجل المدينة" تعريفا موجزا لها فيقول : " مدينتي مكتظة بالعوانس " [37]، و كأن المدينة قد خلت من الرجال و العائلات و اكتظت بالعوانس اللذين يمثلون نسبة كبيرة في المجتمع ، و يظهر أن هذا الأمر قد أرق الكاتب فدفعه للحديث عن الفقر العاطفي التي تعيشه العانس التي تكون عرضة لإفساد المجتمع إن لم تتزوج، وهنا يكون القاص الجزائري قد أضاف سببا آخر لكرهه للمدينة .

يتفق الكاتب "خلف بشير "مع الكتاب الجزائريين السابقين في النظرة السوداوية للمدينة حيث يقول في "مجموعته القصصية" القرص الأحمر في قصة " المتاهة ":

" هذه المدينة التي ابتلعتني... أبقت علي في جوفها بعد أن أكلتني ومضغتني صبّت علي كل عصاراتي جهاز هضمها... أنا ضحية من ضحاياها الكثيرين ... لا هي تمثلني و لا هي ألقت بي خارجا كفضلة من فضلاتها التي تلقي بها يوميا خارجها ، او تكدس في زوايا الشوارع الخلفية و مداخل البنايات العمومية ... ليتني كنت فضلة في صناديق المزابل حتى أحظى بمئات النظرات من أولئك التعساء البائسين لها في الصباح الباكر ... ليتني فضلة تلقى خارج المدينة "[38].

يظهر النص المدينة كالعادة بقبحها و قسوتها و لذلك جعلت الكاتب على لسان الشخصية البطلة يتمنى أن يكون فضلة تلقى خارج المدينة، و هذا التمني يفضي إلى درجة اليأس من هذا المكان الذي ضاق على سكانه حتى تمنوا أن يصبحوا فضلات .

خاتمة :

إن مدينة القاص الجزائري مدينة متهمة قبيحة ، ينظر إليها بعيون الكره و الحقد و النفور فجاءت هذه المدينة سلبية عند كل من (ادريس بودبيه ، عزي بوخالفة ، عبد الحميد بورايو مصطفى الفاسي ، محمد دحو ، بوجادي علاوة ، جيلالي خلاص) ، و يمكن تلخيص نظرة القاص الجزائري للمدينة في النقاط التالية :

- يهاجر الفرد الجزائري إلى المدينة هروبا من الإقطاعية و القهر الاجتماعي الذي يعيشه في الريف ،إلا أنه يصطدم بقساوة الحياه فيها فيعود أدراجه إلى مكانه الأصل .
- يحاول القاص الجزائري تعرية هذه المدينة و فضحها و في الحقيقة هو يفضح من خلالها الوطن **(المدينة / الوطن) .**
- إن المدينة بالنسبة للقاص الجزائري مكان قلق متوتر لذلك فهي ليست مكان استقراره و إنما يرتحل إليها فقط ثم يعود أدراجه، فمدينته غير ثابتة.
- أعطى القاص الجزائري للمدينة أوصافا سلبية فنجد مجموعة هذه الثنائيات: **المدينة/ المقبرة المدينة / العاهرة ، المدينة / القاسية ، المدينة / الهمجية ، المدينة / البالوعة.**
- من خلال ذكر بعض الأمكنة الفرعية التي تساهم في خلق حركة المدينة ، نجد أن الكاتب قد غيب أمكنة العبادة كالجوامع و المساجد ، كما أنه بين أن الفرد الذي يسكن المدينة لا يهتم بدور الثقافة و الفن، كل ما يهمه هي الأماكن التي يستطيع أن يقتني منها قوته و هي إشارة واضحة إلى الحالة المزرية التي يعيشها المواطن الجزائري .
- المدينة ناكرة بمجرد أن ترحل عنها تنساك و لا تعرفك و هذا من كثرة الوافدين عليها من كل جانب.

إذا فالمدينة عند القاص الجزائري مكان للقبح والقسوة و العنف، مكان مادي بحث و بشع بدرجة أنه و صفه بأقبح الأوصاف، مدينة يكرهها وتكرهه.

يستمد القاص الجزائري هذه النظرة السوداوية من المظاهر التي يراها فيها ، و هذه الكراهة و النظرة نراها عند كتاب عالميين مثل "دوستويفسكي الذي عد المدينة عدوة الإنسان الأولى و جيمس جويس بين كرهه للمدينة في كل إنتاجه ، و تولستوي عد النقاد أدبه تحريضا صريحا ضد المدينة " (39) .

إلا أننا و من خلال قراءتنا لهذه المجموعات القصصية نرى حيزا ايجابيا **للمدينة كمكان** يدعو للانتعاش عند "مصطفى الفاسي " و مركزا مهما للخدمات الصحية عند" عبد الحميد بورايو" إذ يصف سكانها والوافدين عليها من المحظوظين لأنها مكان للعلم باعتبار أن المدارس في تلك الفترة لا تتوفر إلا في المدن والمجمعات السكنية الكبرى .

في الأخير هل يمكن لنا أن نطرح التساؤل التالي؟ هل وفق القاص الجزائري في البحث عن مدينة قصصية خيالية أم طغت عليها صفة الواقعية؟ وهل نستطيع التحدث عن علاقة القصة بالمدينة مثل علاقة المدينة بالرواية أي علاقة فضاء بفضاء، في ضوء ما للمدينة من خصوصية مكانية وعمرانية تتحكم فيها رواسب إنسانية عامة ، ومفتوحة على قيم الواقع المعيش والخيال الحالم وعلاقتها بالكتابة .

يبدو لنا أن المدينة في الكتابة القصصية الجزائرية قد تجلت فيها الظواهر الواقعية ولم تستطع القصص التي بين أيدينا أن ترسم مدينة خيالية خاصة بها، فكان حضور المدينة كمكان معادي ضمن النص القصصي الجزائري القصير من حيث هي واقع، إلا أنه له أبعاده الدلالية التي تظهر من خلال المواقف التي يبوح بها السارد والشخصيات القصصية في علاقتها بها، ولا بد للنص القصصي أن يبتعد عن وصفه

للمدينة كمكان برسم حدوده الطبوغرافية والبوح بعواطفه اتجاهه فقط ، وإنما بوصفها عالما من القيم والأفكار التي تجعلنا نتحدث عن علاقة القصة بالمدينة في ظل أشكال متعددة من الكتابة والتخييل .

ومنه فالمدينة في القصة هي خلق للعالم قبل أن تكون تصويرا له، وما ينقله القاص هو فكرة عن المدينة وليس المدينة ذاتها، إلا أننا من خلال عرضنا للمدينة في القصة الجزائرية أحسسنا أنها ليست مدينة خاصة بالقاص وهذا يعني أنها ليست مدينة خيالية، ومهما يكن من أمر فمدينة القاص الجزائري عالم من الكلام نقلتها الكتابة الأدبية، وقد لا حظنا أن بعض النصوص قد اتخذت من فضاء المدينة مكونا مركزيا في صياغة الأحداث وتأثيث العوالم .

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم صحراوي : ديوان القصة ، منتخبات القصة القصيرة الجزائرية الحديثة و المعاصرة ، دار التنوير الجزائري ، 2012 .
2. أحمد زياد محبك : جماليات المكان في الرواية ، مجلة الفيصل ، ع : 286 ، ربيع الآخر ، 1421 ، 2000 .
3. أحمد طالب : جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، دار الغرب للنشر والتوزيع 2005.
4. أحمد منور : قراءات في القصة الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.
5. أحمد منور : ملامح القصة القصيرة في السبعينيات ، مجلة المنتدى ، العدد 189 .
6. إدريس بوديبه : حين يبرعم الرفض ، هي عبارة عن قصة طويلة نوعا ما ولا يوجد جنس أدبي بمصطلح"القصة الطويلة " ولايمكن لنا الإعتماد على الحجم في تجنيس النصوص الأدبية ، فهي قصة تعالج موقفا واحدا وشخصياتها قليلة وليس لها امتداد زمكاني كي نجعلها رواية ، لذلك فقد أدرجناها في المتن كقصة قصيرة ، صادرة عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983.
7. أنيسة بركات درار : ادب النضال في الجزائر ، من سنة 1954 حتى الاستقلال ، المؤسة الوطنية للكتاب 1984.
8. أوريدة عبود : المكان في القصة الجزائرية الثورية ، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة لعبد الله الركيبي دار الامل للنشر والتوزيع ، الجزائر 2009.
9. جيلالي خلاص : خريف رجل المدينة ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1985 .
10. خلف بشير : القرص الأحمر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986 .
11. سيزا قاسم : بناء الرواية الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2004م
12. صلاح صالح ، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر
13. عبد الحميد المحادين : جدلية المكان و الزمان و الانسان في الرواية الخليجية ، الثقافة و التراث الوطني ، البحرين ، ط:01 ، 2001.
14. عبد الحميد بورايو : عيون الجازية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 198
15. عبد الله الركيبي: القصة الجزائرية القصيرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الدار العربية للكتاب ،1983.
16. عزي بوخالفة : البرق ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

17. علاوة بوجادي: شذرات من اعترافات مارق ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، شارع زيغود يوسف ،1986.
18. غاستون باشلار : جماليات المكان ، تر ، غالب هلسا ، ط 03 ، 1937 .
19. غالب هلسا ، المكان في الرواية العربية ، دار ابن هانئ ، دمشق 1989 .
20. محمد حيدار : خلف الأشعة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 .
21. محمد دحو : عندما ينقشع الغيم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.
22. محمد ساري : التجربة الواقعية في الابداع القصصي عند الأديب الجزائري أحمد منور ، المنتدى ، العدد 189 ص: 34 .
23. مصطفى الفاسي : حداد النوارس البيضاء ، قصص المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .
24. يوسف نجم : فن القصة ، دار الثقافة ، ط : 07 ، بيروت ، 1979.
25.

الهوامش:

(1) عبد الله الركيبي: القصة الجزائرية القصيرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الدار العربية للكتاب ،1983 ص:51-52.

(2) أوريدة عبود : المكان في القصة الجزائرية الثورية ، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة لعبد الله الركيبي دار الأمل للنشر والتوزيع ، الجزائر 2009., ص8.

(3) أحمد منور : قراءات في القصة الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981 ص35.

(4) أنيسة بركات درار : أدب النضال في الجزائر ، من سنة 1954 حتى الاستقلال ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 ص186.

(5) أحمد منور: ملامح القصة القصيرة في السبعينيات ، مجلة المنتدى ، العدد 189 ، ص: 17 .

(6) محمد ساري : التجربة الواقعية في الإبداع القصصي عند الأديب الجزائري أحمد منور ، المنتدى ، العدد 189 ص: 34 .

(7) إبراهيم صحراوي : ديوان القصة ، منتخبات القصة القصيرة الجزائرية الحديثة و المعاصرة ، دار التنوير الجزائري ، 2012 ، ص: 21 .

(8) م ن ، ص: 18-19 .

(9) أوريدة عبود : المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية "دراسة بنيوية لنفوس ثائرة لعبد الله الركيبي .

(10) أحمد طالب : جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، دار الغرب للنشر والتوزيع 2005.

(11) صلاح صالح : قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر ، ص: 12 .

(12) أحمد زياد محبك : جماليات المكان في الرواية ، مجلة الفيصل ، ع : 286 ، ربيع الآخر ، 1421 ، 2000 ص: 55

(13) يوسف نجم : فن القصة ، دار الثقافة ، ط : 07 ، بيروت ، 1979 ، ص:108 .

(14) سيزا قاسم : بناء الرواية ، ص: 76 .

(15) غاستون باشلار : جماليات المكان ، تر ، غالب هلسا ، ط 03 ، 1937 ، ص : 6-7 .

(16)إدريس بوذيبه : حين يبرعم الرفض ، هي عبارة عن قصة طويلة نوعا ما ولا يوجد جنس أدبي بمصطلح"القصة الطويلة " ولايمكن لنا الإعتماد على الحجم في تجنيس النصوص الأدبية ، فهي قصة تعالج موقفا واحدا وشخصياتها قليلة وليس لها امتداد زمكاني كي نجعلها رواية ، لذلك فقد أدرجناها في المتن كقصة قصيرة ، صادرة عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص :20 ، 1983.

(17)عزي بوخالفة : البرق ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص :

(18)عبد الحميد بورايو : عيون الجازية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983 ، ص: 17

(19)عبد الحميد بورايو : عيون الجازية ص: 43 .

(20)مصطفى الفاسي : حداد النوارس البيضاء ، قصص المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص : 12 .

(21)م ن، ص : 13 .

(22)مصطفى الفاسي حداد النوارس البيضاء ، ص : 15 .

(23)م ن ، ص : 47 .

(24)محمد دحو : عندما ينقشع الغيم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص63 .

(25)عبد الحميد المحادين : جدلية المكان و الزمان و الإنسان في الرواية الخليجية ، الثقافة و التراث الوطني ، البحرين ، ط:01 ، 2001 ، ص: 104-106 .

(26)محمد دحو : عندما ينقشع الغيم ، ص: 43 .

(27)محمد حيدار : خلف الأشعة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص : 28 .

(28)م . ن ، ص: 31 .

(29)علاوة بوجادي: شذرات من اعترافات مارق ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، شارع زيغود يوسف ، 1986 ص: 16 .

(30)م ن. ص: 27 .

(31)علاوة بوجادي: شذرات من اعترافات مارق ، ص: 46 .

(32)م ن، ص:46

(33)م ن ، ص: 46 .

(34)علاوة بوجادي: شذرات من اعترافات مارق ، ص: 109 .

(35)م ن، ص: 112-113 .

(36)جيلالي خلاص : خريف رجل المدينة ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1985 ، ص: 48 .

(37)جيلالي خلاص : خريف رجل المدينة ، ص : 53 .

(38)خلف بشير : القرص الأحمر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986 ، ص : 08.

(39) غالب هلسا ، المكان في الرواية العربية ، دار ابن هانئ ، دمشق 1989ص: 30 .